اجتهادات
الإسكندرية التى كانت

تُعيدنا احتفالية كفافيات 2019، التى نُظمت الأسبوع الماضى، إلى أجواء الإسكندرية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وحتى منتصف القرن العشرين، حين كانت مدينة عالمية كوزموبوليتان عاش فيها المصريون، وتعايشوا، مع أعداد كبيرة من اليونانيين الذين كان الشاعر قسطنطين كفافيس واحداً منهم، والإيطاليين، وأوروبيين آخرين بأعداد أقل، والشوام، لبنانيين وسوريين، وأفارقة من بلدان مختلفة، وكانت نموذجاً للتنوع الثقافى والحضارى.

عنوان الاحتفالية كفافيس المدينة والسياسة والمواطنة والحضارة يدفع إلى تأمل ما حدث للإسكندرية، منذ أن غادرها أوروبيون وُلد معظمهم فيها، مثل كفافيس الذى توفى عام 1933 قبل أن تحدث موجة الهجرة منها تحت وطأة ردود فعل حادة ترتبت على عدوان 1956، واغتصاب فلسطين قبله، وامتدت إلى المجتمع فأثرت على التعايش الجميل الذى تميزت به الإسكندرية.

بدأ، فى تلك الفترة, تراجع مطرد فى قيمة التعايش، وما يقترن بها من قبول الآخر. بدأ هذا التراجع على صعيد قبول الآخر الأجنبى، وامتد إلى الآخر الوطنى، وأخلى التسامح الذى ميز الإسكندرية، ومصر عامةً فى تلك المرحلة، الطريق أمام تطرف دينى نعانى ويلاته، وقد تحول تكفيراً أنتج عنفاً وإرهاباً من ناحية، وتخويناً متبادلاً فى حالة حدوث اختلاف من الناحية الثانية.

ولذا، أحسنت وزارتا الثقافة المصرية واليونانية صُنعاً عندما دعمتا هذه الاحتفالية التى بدأت للمرة الأولى عام 1983 فى ذكرى مرور نصف قرن على رحيل كفافيس، ثم توسع نطاق المشاركة فيها تدريجياً، لأنها إحدى المناسبات القليلة التى تُذَّكر بعصر الإسكندرية الذهبى، وتُشم فيها رائحة مدينة حدث فيها تغير اجتماعى-ثقافى مهول خلال العقود الستة الأخيرة، وصارت المركز الأول لحركة سلفية لا تمت اتجاهاتها إلى قيم ذلك العصر بأي صلة.

وليت الاهتمام باستمرار إقامة احتفالية كفافيس يشمل شيئاً من العناية بمتحفه الصغير فى وسط الإسكندرية, لأنه يبدو فى معظم الأحيان مهجوراً لا يعرفه إلا قليل من المصريين، ولا يُستثمر حتى كمزار سياحى.

يستحق هذا المتحف عناية أفضل لأسباب عدة أهمها أن فيه جزءاً من تاريخ الإسكندرية فى زمن جميل، وليس تاريخ الشاعر اليونانى الراحل فقط.